مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية | المجلد 14، العدد 2، (السداسي الأول 2022م)، ص. 151 – 176

إشكالية اللغة والتأويل في التصوف الإسلامي

The problematic of language and interpretation in islamic Sufism (mysticism)

دة. عائشة أوهاب*

جامعة البويرة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإسلامية، الجزائر

aichaouhab1@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/04/27 تاريخ القبول: 2022/06/13 تاريخ النشر: 2022/06/30

ملخص:

يتناول هذا البحث قضيتين من قضايا التصوف:

- المصطلح الصوفي وما يميزه من جمالية وغموض تفقده صفة الصلابة والدقة ، التي تتميز بها مصطلحات العلوم الإسلامية الأخرى ، مما يثير حوله عدة إشكالات سببها الاحتكام في تقييمه إلى معايير هذه العلوم وإغفال جانب التجربة التي تعدّ أحد أسباب ظهوره .

- التفسيرالاشاري بعد التأصيل وبيان المقبول والمردود، فإنّ أهم ما يمكن استنتاجه هو أن هذا التفسير يعدّ عند أصحابه من الفتوح الناشئة عن التزكية والمجاهدة وهو من التعمق المقصدي الذي لا يناقض المعنى الأصلي.

لكن هذا لا ينفي أن هذا التأويل والمصطلح الصوفي قد أدّ ى إلى ظهور بعض النزعات و الفهوم التي لا تقرها نصوص الشريعة ، كما أستند عليها بعض أصحاب الاتجاه الباطني .وقد تصدى لهؤلاء أئمة التصوف وتلاميذهم قبل غيرهم.

ويهدف البحث إلى ابراز البعد الوظيفي للتصوف الإسلامي ،واستثمار الخبرة الصوفية الروحية والأخلاقية؛ و إعادة التصوف إلى ساحة التاثير في حياة المسلم، وتحقيق الأبعاد الثلاثة للدين (الإيمان و الإسلام والإحسان).

الكلمات المفتاحية: اللغة؛ التأويل؛ المصطلح الصوفي؛ التصوف الإسلامي.

* المؤلف المرسل

Abstract:

- This research deal with two issues of Sufism:

The term of Sufi (mystic) and what distinguishes it from the aesthetic and ambiguity lose the character of purpose and accuracy that characterizes the terminology of other Islamic science, which raises around it's several problems caused by the invocation of its evaluation to the standards of these science and neglecting the aspect of experience which is one of the reasons for its appearance.

The indicative interpretation, so after the routing and the statement of acceptance and rejection, the most important thing that can be deduced is that this interpretation is considered, according to its authors, from the emerging conquests that contradict the approval and striving, and it's from the International the intentional depth which does not contradict to the original meaning.

Nevertheless, this does not contradict that this interpretation and the term of Sufi have led to the appearance of some conflicts and concepts which is not approved by the texts of Sharia (Islamic law), as it was also relied on by some esotericisms furthermore, the Imam of Sufism with their students confronted them before others.

Keywords: Language; Interpretation; Term of Sufi; Islamic Sufism.

مقدمة:

لا شك أن كل علم وفن يحتوي على مصطلحات خاصة به، وعلى دقائق وعويصات من المسائل لا يستطيع القارئ غير المتخصص فهمها وتبين مراميها، ويتأكّد الأمر للدارس للتصوف، حيث يجد نفسه في قلب إشكالية اللغة؛ لأنّ التصوف أحوال وأذواق ومقامات، وهذه الأحوال والمواجيد تقوم في كثير من الأحيان مقام المقدمات المنهجية والأحكام والقضايا.

فالتصوف ليس بحثا نظريا، وأكثر ما كتبه شيوخ التصوف لم يكن إلا تقريبا وتحفيزا للتأمل والتكمُّل بالعبادة والأخلاق والفضائل.

والصوفي مسكون بهاجس كيفية التعبير عن تجربته وأحواله، وهو في ذلك مترقٍ ومتدرج فيها؛ لذلك تميزت اللغة الصوفية بالترادف والاشتقاق، واستعارة عبارات ومصطلحات من حقول معرفية، ولغوية أخرى، أضفى عليها أهل التصوف معاني تخصهم.

وهذا مما أبعد التصوف عن دائرة الفهم في كثير من الأحيان، وحجب محاسنه ،وسيء الظن بأئمة التصوف السني الأخلاقي، وأدى إلى تأرجح التصوف بين فريق رفضه جملة وتفصيلا، وعدّه من البدع المدخولة على الدين، وتنكر لمحاسنه و زهد عن الخير الكثير فيه، وفريق آخر قبله بإطلاق، بايجابياته وسلبياته واستمات في الدفاع عنه.

أمّا بالنسبة للتفسير أو التأويل الاشاري فإنه لاخلاف بأنّ جذوره تعود إلى زمن النبيّ صلى الله عليه وسلم، وصحابته، فالقرآن الكريم ناجى القلوب، وتحدث عن النفس وأشواقها وعيوبها، كما توجه إلى المسلمين بالخطاب التكليفي، وإنما يكمن الخلاف في تقدير الناس لحدود التأويل، وفي تكييف هذه النظرات، وفي مآلات التوسع فيها.

والمراد بـ'التأويل' في البحث هو مدلوله الاصطلاحي في التراث الإسلامي، بعيدا عن معناه في الهرمنوطيقا، رغم وجود تداخل بينهما. والأمر ذاته ينطبق على مصطلح الباطن.

والمقصود بـ'التصوّف السنّي' هو التصوّف القائم على الكتاب والسنة، وهذا التمييز وإن كان متأخرا، فإنّ أئمته حرصوا كل الحرص على الاحتياط في اختيار العبارات التي تؤكّد على صيانة العقيدة، والوقوف عند حدود الشرع. كما حرصوا على ضبط الألفاظ الدّالة على العلاقة بالله كالمحبة والفناء وغيرهما.

وازداد التصوف السني وضوحا مع ظهور التيار الفلسفي في التصوف، وهو الذي أفرزته التجارب الصوفية، كما أشار إليه ابن خلدون في كتابيه 'شفاء السائل' وفي 'المقدمة'، وقد بيّن أئمة التصوف السني كالجنيد(ت.298ه)، والطوسي(ت.378ه) والقشيري(ت:465ه) والغزالي (ت:505ه) وغيرهم موقفهم من أصحاب هذا الاتجاه .

والعلامة االفارقة بين المسلكين أنّ الأول يقوم على منهج عملي، بينما جمع الثاني بين النظر والتأله كما يقول أصحابه .

الإشكالية: ومن هنا تأتي أسئلة هذا البحث التي تتمحور حول المصطلح الصوفي والتأويل الإشاري:

- هل استلهم الصوفية لغتهم ومصطلحاتهم من النصوص الأصلية القرآن والسنة ؟
- وفيم تكمن خصوصية وغموض المصطلح الصوفي؟
- هل تحمل كلمة التأويل والإشارة الحمولة المعرفية ذاتها عند أصحاب المدارس الصوفية على اختلاف اتجاهاتها ؟
- وهل أدّى توسع أهل التصوف في معاني نصوص القرآن الكريم إلى إخراجها عن حقائقها الشرعية؟
- ثم ما هي المعايير التي اتخذها علماء المسلمين، وبخاصّة أئمة التصوف السني في الحكم على المصطلح الصوفي وتأويلاتهم ؟

منهج البحث:

وقد اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي المقارن، وذلك باستنطاق النصوص وتحليل العبارات، ومحاولة استحضار الجوانب النظرية والعملية للموضوع، مع مقارنة الآراء ومناقشتها، بروية وهدوء، وسبرها بمسبار العلم .

أهداف البحث: من الأهداف المتوخاة في هذا البحث:

- تصحيح النظرة النمطية للتصوف.

- المساهمة في إعادة الاعتبار للتصوف السني ، وبيان المنظور الإسلامي الصحيح .

- الاستفادة من الأبعاد العقدية والأخلاقية والنفسية الموجودة في التراث الصوفي التي تعدّ من أغنى الدراسات وأعمقها، ومحاولة ربطها بالقواعد والأحكام الشرعية.

الخطة: وانتظم هذا البحث في مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المبحث الأول: معاني مفردات البحث: المصطلح الصوفي، التأويل، التفسير الاشاري.

المبحث الثاني: المصطلح الصوفي استمداده، وأسباب نشأته، واشكالاته.

المبحث الثالث: التفسير الإشاري عند المتصوفة، تأصيله ونماذج منه، وموقف العلماء منه.

الخاتمة: أهم نتائج البحث ،والتوصيات.

المبحث الأول: معاني مفردات البحث: (المصطلح الصوفي، التأويل، التفسير الاشاري):

أولا: تعريف " المصطلح الصوفي":

الاصطلاح: هو إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما

وقيل: "الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين"[1].

ومعنى "الصوفي" أنّه منسوب للتصوف. والتصوف هو "علم قصد لاصلاح القلوب وإفرادها لله عما سواه"[2] وقد ذكر الشيخ أحمد زروق[3] أنّ تعريفات التصوف بلغت نحو ألفين، ذلك أن كل من عرّف التصوف كان يعبّر عن ذوقه ووجده و حاله، لذلك اختلفت العبارات، فاتجه بعضهم الى الجانب الأخلاقي، وأهتم بعضهم بالجانب المعرفي، ومنهم من جمع بينهما.

وأما المعنى المقصود من المركب الإضافي فقد عبّر القشيري عنه في قوله: "وهذه الطائفة يستعلمون ألفاظا فيما بينهم قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم بعضهم مع بعض"[4]

فالمصطلح الصوفي: هي الكلمات والتعبيرات التي يستخدمها المتصوفة، ليعبروا عن أذواقهم وأحوالهم، وهي في الغالب لا تحمل ذات المدلول اللغوي الذي وضعت له في الأصل .

ثانيا: التأويل أصله في اللّغة الأول[5]، ومعنى قولهم: ما تأويل هذا الكلام؟ أي إلام تؤول العاقبة في المراد به؟ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ﴾(الأعراف :53) أي تكشف عاقبته، ويقال: آل الأمر إلى كذا، أي صار إليه، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾(الكهف:82).

فأصله من المآل: وهو العاقبة والمصير، وقد أولته فآل إني صرفته فانصرف، فكأن التأويل صرف الآية إلى ما تحتمله من المعاني[6].

ثالثا: التفسير الإشاري:

1. التفسير في اللغة: راجع إلى معنى الإظهار والكشف، وأصله في اللغة من التفسرة، وهي القليل من الماء الذي ينظر فيه الأطباء، فكما أن الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المريض، فكذلك المفسّر يكشف عن شأن الآية وقصصها ومعناها، والسبب الذي أنزلت فيه.

---

[1] انظر التعريفات للجرجاني، ص: 28 ومعجم المصطلحات الصوفية –د/ أنور فؤاد أبي حزام، ص 44

[2] تأسيس القواعد والأصول وتحصيل الفوائد لذوي الوصول أبو العباس احمد زروق الفاسي، اعتنى به نزار حمادي، المركز العربي للكتاب، الشارقة، ص:35.

[3] المرجع السابق، ص:24

[4] اللّمع، السرّاج الطوسي، ت، د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي للسرور: دار الكتب الحديثة، مصر: 1380هـص، 44 و معجم المصطلحات الصوفية، د. أنور فؤاد أبي حزام، مراجعة د. جورج متري عبد المسيح، ط.1،1993، مكتبة لبنان ناشرون بيروت.ص: 43.

[5] انظر : معجم مقاييس اللغة :أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر: 1399هـ - 1979م. 62/1 ؛ القاموس المحيط ،مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ،(ط): الثامنة، 1426هـ - 2005 م 456/1.

[6] البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، ط 1/ 146-148.

فالتّفسير كشف المغلق من المراد بلفظه وإطلاق للمحتبس عن الفهم به، ويقال: فسّرت الشيء، فسّره تفسيرا.[1]

2. اصطلاحا: هو علم نزول الآية، وسورتها وأقاصيصها، والإشارات النازلة فيها، ثم ترتيب مكّيها ومدنيها، ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها....

وزاد فيها قوم قالوا: علم حلالها وحرامها ووعدها ووعيدها، وأمرها، ونهيها، وعبرها، وأمثالها، وهذا الذي منع فيه القول بالرأي.[2]

3. الفرق بين التفسير والتأويل:

قيل: التفسير والتأويل واحد بحسب عرف الاستعمال، والصحيح تغايرهما.

وقال الراغب: التّفسير أعمّ من التأويل، وأكثر استعماله في الألفاظ، وأكثر استعمال التأويل في المعاني، كتأويل الرّؤيا، وأكثره يستعمل في الكتب الإلهية، والتّفسير يستعمل في غيرها، والتفسير أكثر ما يستعمل في معاني مفردات الألفاظ."[3].

ومنهم من رأى أنّ التأويل كشف ما انغلق من المعنى، ولهذا قال البجلي: التفسير يتعلّق بالرواية، والتأويل يتعلق بالدّراية، وهما راجعان إلى التلاوة والنظم المعجز، الدال على الكلام القديم القائم بذات الرّب تعالى.[4]

وهي وإن اختلفت فالمقاصد بها متقاربة.

4-التفسير الاشاري:

الإشارة: ما يخفى عن المتكلم كشفه بالعبارة للطافة معناه، وقيل : إخبار الغير عن المراد بغير عبارة اللّسان[5].

ومعنى المركب من التفسير الاشاري :هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظاهر المراد.[6]

---

[1] معجم مقاييس اللغة: 504/4 و القاموس المحيط: 456/1

[2] لإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي،ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب،(ط) 1394هـ/ 1974 م.192/4

[3] مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي،ص394،وانظر:الاتقان في علوم القرآن:193/4.

[4] البرهان في علوم القرآن ،150/2.

[5] اللمع، الطوسي، ص414، وانظر معجم المصطلحات الصوفية، د.نور فؤاد أبي جزم ص:43

[6] التفسير والمفسرون: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة،261/2.

المبحث الثاني: المصطلح الصوفي ،استمداده وأسباب نشأته واشكالاته:

أولا: استثمار الصوفية للقرآن والسنة في بناء اللغة الصوفية:

اعتمدت أكثر العلوم الإسلامية على معين القرآن الكريم، الذي لا ينضب في بناء جهازها الاصطلاحي، وكان الفقهاء أكثر من أفاد منه؛ إذ أنهم اعتمدوا في استنباط الحكم من دلالة اللفظ القرآني، كما أنّهم اجتهدوا غاية الجهد في الإبقاء على اللّفظ ودلالته معا بمنأى عن التّأويلات البعيدة.

وقد حاول الصوفية أن لا يكون حظّهم من الاغتراف منه قليلا، فقد أحصى أحد الباحثين الألفاظ القرآنية التي اعتمدها المصطلح الصوفي فبلغت أزيد من ألف لفظ دون المكرر منها.[1]

فمن الألفاظ المأخوذة مباشرة من القرآن الكريم الذكر، والسر، والقلب، والتجلي، والاستقامة، والاستواء، والاصطناع، والاصطفاء، والصدق، والإخلاص، والرضا، والنفس المطمئنة، والتوبة، والنور، الحق، أما ما حور من ألفاظ القرآن فمنها الخلّة والفتوّة، والطّمس، والدنّو، واللّدني (من لدنّا) والحال، وأيضا بعض الثنائيات المتقابلة، مثل الظّاهر والباطن، القبض و البسط، المحو والإثبات، الصبر والشكر، الفناء والبقاء.[2]

أما الحديث النبوي، فإنّ الألفاظ التي يمكن اعتبارها أصولا للمصطلح الصوفي في التأويلات النبوية المباشرة قليلة جدا، ومع ذلك تمكن الصوفية من العثور على بعض منها لإثبات مستندهم في ذلك، من مثل ألفاظ: الجلال، وأهل الذكر، والأوتاد، والنقباء، وإن كان لأهل الحديث مقال في أسانيد و متون أكثرها.[3]

أما فيما يختص بأقوال الصحابة، فقد انصبَّ جلُّ اهتمامهم على الجانب العملي، فحرصوا على الفهم من أجل التطبيق، ومصداق ذلك ما اشتهروا به من كون أحدهم لم يكن يتجاوز عشر آيات حتى يعلم ما فيها من العلم والعمل، لذلك فقد اكتفوا بالمعاني الإجمالية. و قد أشار إلى ذلك الشعراني في ردّه على الذين انتقدوا المصطلح الصوفي.[4]

---

[1] انظر المعجم الصوفي في القرآن: عبد العزيز بن عبد الله، مجلة اللسان العربي /ع4 1386هـ/ 1966م، ص 209 –214

[2] انظر المصطلح الصوفي بين التجربة والتأويل :محمّد مصطفى عزّام، تقديم د. طه عبد الرحمان،(ط)الأولى 2000م،مطبعة فيديرانت، الرباط. ص: 147-148.

[3] انظر التيسير بشرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض(ط.3)، 1408هـ - 1988م ،1 /420-421،فقدبيّن درجة الأحاديث المتعلقة بالأبدال.

[4] انظر الطبقات الكبرى المسمى بـ'لواقح الأنوار في طبقات الأخيار' عبد الوهاب الشعراني ، دار الفكر، بيروت (د.ت) 4/1.و51.

ولذلك "فإن التأويل بالمقاصد الخلقية والحقائق الغيبية لم يشع كثيرا بين الصحابة لأنهم كانوا منشغلين كلهم بالتأويل العملي و متنافسين فيه، ومع ذلك فقد روي عن بعضهم شيء من التأويل، نعتبره تأصيلا للخطاب الصوفي"[1]، ومن ذلك ما نلمسه من اعتماد الصّوفية على تفسير عبد الله بن عباس، وما أثر عن الإمام علي من أقوال، وكذا لأبي ذر الغفاري، وغيرهم ، غير أن كثيرا مما ذهبوا إليه، لم يسلِّم لهم بسبب تتبع أهل الحديث لتلك الروايات والحكم علي أكثرها بالضعف والوضع سندا ومتنا .

غير أننا نلاحظ أن المصطلح الصوفي "قد بُذرت نواته الأولى في عصر التابعين على يد الحسن البصري وهو من تلامذة مدرسة العراق التي أسّسها عبد الله بن مسعود، وهذا التوجه هو الذي هيأ لتكوين الخطاب الذي تولد عنه المصطلح الصوفي.[2]

ثانيا: استثمار الصوفية لمصطلحات العلوم:

استفاد التصوف كثيرا في تكوين مادته الاصطلاحية إلى جانب القرآن والسنة، وآثار السلف، من مجموع العلوم الإسلامية، وغير الإسلامية في بعض الأحيان، غير أنها لم تحمل المدلول نفسه؛ لأنّ دلالة المصطلح الصوفي متحركة باستمرار، نظرا لطبيعة التجربة المتطورة والمتنوعة، فلا يمكن أن يكون إلا مجازات أو إشارات بحسب التجربة، أما المصطلح الكلامي أو الفلسفي فقد غلب عليهما التّجريد النظري؛ لذلك فلكلتا اللغتين حقائق اصطلاحية مدلولها المعقول المجرد، ولهذا خضع الأول لاختلاف الفهوم، وخضع الثاني لاختلاف الأنظار.[3]

فقد أخذ من النحو مثلا المعرفة، والرسم، والإشارة، ومن علماء الكلام الأوائل اقترض مثلا التوحيد والعدل، والعرض مقابل الجوهر، والصورة مقابل المعنى، وغيرها، كما استعمل ألفاظا أعجمية تسربت إلى العربية منذ العصر الجاهلي من اليونانية أو الفارسية، أو الآرمية، مثل الأفلاك و الديوان والترياق.[4]

كما أننا نلاحظ شيوعا كبيرا للمصطلح الفلسفي في بعض المدارس الصوفية، كما هو الشأن عند ابن عربي، ومن تأثر به، كابن سبعين والجيلي، والبوني وغيرهم.

---

[1] المصطلح الصوفي ،ص: 151

[2] المرجع السابق ، ص: 157.

[3] لمزيد من التفصيل انظر المصطلح الأصولي عند الشاطبي : د. فريد الأنصاري، رسالة دكتوراه مكتوبة على الآلة الكاتبة، مقدمة لكلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية: الرباط،(1998-1999م).

[4] انظر المصطلح الصوفي / ص 157، 158

وقد حاول أوائل الصوفية استعمال مصطلحات هذه العلوم، بما يتناسب مع التعبير عن مفاهيمهم الخاصة، من غير أن تعني هذه الألفاظ بالضرورة نفس مدلولها السابق[1]، غير أن هذا لا ينفي أننا نجد أنّ بعض الاتجاهات في التصوف استعارت المفاهيم والأسس النظرية.

ثالثا: دور التجربة الصوفية في تطور المصطلح الصوفي:

إنّ التصوف تجربة ذاتية، و وظيفة المصطلح الصوفي ترجمة حياتهم الروحية، ترجمة تعدّ خروجا عن حدود المألوف من الألفاظ عند الكثيرين، فقد تفردت الصوفية بعلم الإشارة؛ لأنّ مشاهدات القلوب ومكاشفات الأسرار لا يمكن التعبير عنها بكلمات تفي بالغرض في بيان حقيقتها، "بل تعلم بالمنازلات والمواجيد، ولا يعرفها إلا من نازل تلك الأحوال، وحل تلك المقامات".[2]

بعبارة أخرى فإن عبارات الصوفية، تفيض معاينها باستشعارات الصوفي ورحلته الجوانية، وتعبَّر عن أسفاره في أحواله الذاتية.[3] وهي بهذا الاعتبار تحمل مواصفات الذات، لذلك فإنّ اللغة كثيرا ما تعجز أن تكون وعاءً للذوق الصوفي.[4]

يقول الكلاباذي: "لكل مقام بدء ونهاية، وبينهما أحوال متفاوتة، و لكل مقام علم، وإلى كل حال إشارة، ومع كل مقام إثبات ونفي، وليس كل ما نفي في مقام كان منفيا فيما قبله، و لا كل ما أثبت كان مثبتا فيما دونه، فالألفاظ الصوفية امتازت بكل ما سلف بيانه؛ لأنّ حقائقهم ليست مجموعة بنوع تكلف، أو مجلوبة بضرب تصرف، بل هي معان أودعها الله تعالى قلوب قوم، واستخلص حقائقها أسرار قوم" [5].

فالمريد في مجاهدته وعبادته، لابدّ وأن ينشأ له عن كل مجاهدة حال، نتيجة تلك المجاهدة، ثم لهم مع ذلك آداب مخصوصة بهم، واصطلاحات في ألفاظ تدور بينهم، إذ الأوضاع اللغوية إنما هي للمعاني المتعارفة، فلهذا أختص هؤلاء بهذا النوع من العلم الذي ليس لواحد، غيرهم.[6]

وبسبب التدرج في التجربة الصوفية نلاحظ الترادف أو إضافة المصطلح إلى المتصف به، وظاهرة المصطلحات المتوالدة من بعضها، كعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين .[7]

---

[1] انظر المرجع السابق ، ص: 204 .

[2] انظر التعرّف لمذهب أهل التصوّف: أبو بكر بن إسحاق الكلاباذي، ت:د. عبد الحليم محمود، د. طه عبد الباقي سرور، مكتبة الثقافة الدّينية مصر: د.ت، ص: 86، 87 .

[3] التصوف و الباراسيكولوجي مقدمة أولى في الكرامات و الظواهر النفسية الفائقة، د:عبد الستار عز الدين الراوي، المكتبة العربية للدراسات والنشر،ط1 :1994، ص19-20

[4] انظر التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان، د.محمد بن بريكة، دار المتون للنشر والترجمة والطباعة والتوزيع ،الجزائر، ط.1، 1427هـ/2006م. ص:25

[5] التعرف لمذهب أهل التصوف، ص: 88.

[6] مقدمة ابن خلدون عبد الرحمن محمد بن خلدون، دار صادر، بيروت، ط .1، 2000، ص357 .

[7] المصطلح الصوفي 45، ومعجم المصطلحات الصوفية:64

فالحال عند الصوفي هو المدلول الحقيقي للمصطلح؛ ذلك أن كل مصطلح محكوم بالوقت المعين وصاحب ذلك الوقت المعين من حيث حاله ومقامه، لذلك تصرف الصوفية أنواعا من التصرف في الألفاظ المتداولة من القرآن أو العرف اللغوي، وشمل هذا التصرف مباني تلك الألفاظ كما شمل معانيها، وأحيانا تركيبها، فضلا عما استعملوه بلفظه الأصلي ومعناه الحقيقي الموصول بالتجربة الوجدانية، فقد يستعملون مصطلح (الخوف) الوارد في القرآن إشارة إلى هذا (المقام العام) لكن تجربة الصوفي المتدرجة في مراحل الخوف تجعله يخصص لكل مرحلة اسما خاصا بها لتفصيل هذا المقام، فتجده يستعمل للحال الذي يعلو على حال الخوف العام مصطلح القبض.[1]

ثم حين يستمر الخوف أو يستقر في باطن الصوفي، فإنه يطلق عليه مصطلح "الهيبة" وهو مذوق يستولي على كلية الواصل لا يفارقه لأنه مقترن بمقام معرفي يسمونه الشهود وهكذا فإن تفصيل مراحل السلوك الوجداني عند الصوفي تقتضي مصطلحات متولدة عن المصطلح العام والأصلي.[2] و كثيرا ما تتقاصر اللغة عن التعبير عن الحال، ويرجع سبب هذا العجز "إلى أنهم حاولوا التعبير عن تجربة خاصّة بلغة عامّة لم تخلقها تجربتهم"[3].

وعليه فإنّ تقرير الأحكام النوعية على كلام الصوفية غير مسلم؛ لأنّه أقرب إلى الخطرات والالهامات النفسية التي ينبغي على الدارس أن ينزلها على اعتباراتهم.

رابعا: تعليل المتصوفة في اعتماد الإشارية:

أوغل المتصوفة في استخدام لغة الإشارة للتعبير عن تجربتهم في احوالهم ومواجيدهم، وذلك أدعى عندهم لتحقيق الإخلاص وتجنبا لسوء الظن أن يطالهم، ومع ذلك لاقوا استنكارا من قبل الفقهاء وأهل الحديث، ويوضح لنا الشّعراني في اليواقيت والجواهر السبب الذي من أجله استخدم الصّوفية إشاراتهم فيقول: "إن الفقيه إذا لم يوفق يقال إنه أخطأ، أما الصوفي فإنه عندما لا يوفَّق يقال إنه كفر، لذلك كان لزاما على الصوفية استخدام الإشارات حتى لا يشتد إنكار العامة عليهم[4]، وقد قوبل هذا المسلك بالاستحسان والموافقة من قبل أئمتهم.

يقول القشيري: "نعم ما فعل القوم من الرموز فإنهم فعلوا ذلك غيرة على طريق أهل الله أن يظهر لغيرهم فيفهموها على خلاف الصواب، فيفتنوا أنفسهم أو يفتنوا غيرهم".[5]

---

[1] انظر المصطلح الصوفي، ص: 144 - 146

[2] انظر دراسات في التصوف الإسلامي، د. محمد جلال شرف ص: 190 وما بعدها.

[3] المعجم الصوفي، د. سعاد الحكيم، دندرة للطباعة والنشر، بيروت ،لبنان ،ط.1،1401ه/1981م. ص:15

[4] اليواقيت والجواهر الإمام الشعراني، ج1-ص 19 و49 نقلا عن معجم ألفاظ الصوفية، د. حسن الشرقاوي ، ص: 12.

[5] الرسالة القشيرية، أبو القاسم عبد الكريم القشيري، ومعه شرح شيخ الإسلام، زكريا الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت. ص: 31

فالمصطلح الصوفي بالنسبة للمتصوفة بمثابة الرابط الذي يجمعهم والوسيلة للتواصل بينهم، ونسب لأبي العباس بن عطاء أبيات منها:

إذا أهل العبارة ساءلونا أجبناهم بأعلام الإشارة
نشير بها فنجعلها غموضا تقصر عنه ترجمة العبارة
ونشهدها وتُشهِدنا سرورا له في كل جارحة إشارة
ترى الأقوال في الأحوال أسرى كأسر العارفين ذوي الخسارة[1]

كما أنّه اعتمد كوسيلة تربوية بين الشيخ ومريديه، يقول الكلاباذي: "فأما من لم يشرف على أحوال السامعين، وعبر عن مقام، فنفى فيه وأثبت، جاز أن يكون في السامعين من لم يحل ذلك المقام، وكان الذي نفاه القائل مثبتا في مقام السامع، فيسبق إلى وهم السامع أنه نفى ما أثبته العلم، فخطّأ قائله أو بدعّه، وربما كفّره."[2]

وعلى أساس من هذه الحكمة في اختيار ما يناسب الموقف التَّربوي "فإن الصوفي ينتقي من الخطاب ما يقرب المعنى المقصود من التوجيه أو من وصف الأحوال ويختار مصطلحات، يتحرى الصوفي فيها أن تكون معبرة عن تجربته الروحية[3]، ولذلك نجدهم يؤكدون على ضرورة وجود الشّيخ المربّي؛ لأنّ المشايخ الربَّانيين يحذرون المريدين في بدايات السلوك من البوح بالواردات التي تهجم على قلوبهم، فإنّ ذلك قد يكون مدخلا للدعوى و الغرور له ولغيره به عند البوح بها، وقد تكون من رعونات النفس، بسبب غلبة الحال، فيلحق الضرر على من يسئ فهمها. يقول ابن عطاء الله في بعض حكمه: "لا ينبغي للسَّالك أن يعبر عن وارادته، فإنّ ذلك مما تقلل عملها في قلبه وبمنعه وجود الصدق فيها مع ربّه"، ومن ثمة فإنَّ شيوخ التربية اشترطوا على من يتكلم بلسان القوم أن يكون له إذن، وهو ضابط تربوي، كما أنه في حق الواصلين من القوم دافع روحي (تربوي) يدفعهم إلى الكلام الهادف دون أن يكون لهم حظ نفسي فيه"[4] .

[1] شفاء السائل وتهذيب المسائل :عبد الرحمان بن محمد الحضرمي، ابن خلدون، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر، بيروت ط.1، 1417هـ - 1996م..ص: 130

[2] التعرف لمذهب أهل التصوف، الكلاباذي، ص88-89.

[3] المصطلح الصوفي، ص: 65.

[4] لطائف المنن، ابن عطاء الله السكندري، تحقيق د. عبد الحليم محمود، دار الكتاب المصري.ط1، 1991 ص: 163

ولذلك فإنّ العلماء الربانيين في مسلك الإفهام والفهم: لم يكونوا يتعمقون في كلامهم ولا في أعمالهم إلا بمقدار ما لا يخل بمقاصدهم، اللهم إلا أن يقصدوا أمرا خاصا لأناس خاصة، فذاك كالكنايات الغامضة و الرموز البعيدة التي تخفي عن الجمهور، ولا تخفى ممن قصد بها، وإلا كان خارجا عن حكم معهودها.[1]

وقد تعرض ابن خلدون لهذا الإشكال حيث ذكر أن من الناس "أساء ظنه بالطريقة وأهلها، وكذب بها إلى غير ذلك من الأمور العارضة التي لا يزيلها النقل من كتب التصوف، بل يثيرها وهذه الأمور لا يدرك كنهها إلا أربابها"[2]

من ذلك ما أثر عن أبي يزيد البسطامي وهو من شيوخ الصوفية من كلام موهم في قوله: "خضت بحرا وقفت الأنبياء بساحله"، حيث يقول أبو الحسن الشاذلي في شرحه له: "إنما يشكو أبو يزيد بهذا الكلام ضعفه وعجزه عن اللحاق بالأنبياء، عليهم السلام، و مراده أن الأنبياء خاضوا بحر التوحيد ووقفوا من الجانب الآخر على ساحل الفرق يدعون الخلق إلى الخوض أي فلو كنت كاملا لوقفت حيث وقفوا، وقد قال: جميع ما أخذ الأولياء مما أخذ الأنبياء كزق مملوء، عسلا ثم رشحت منه رشاحة فما في باطن الزق للأنبياء و تلك الرشاحة هي للأولياء ."[3] والمشهور عن أبي يزيد التعظيم لمراسم الشريعة، والوقوف عند حدودها.

خامسا: النقد الموجه للمصطلح الصوفي:

إن المصطلح الصوفي جنى في كثير من الأحيان على حقيقة التَّصوف بدلا من أن يكون وسيلة فعالة لفهمه، وهذا بسبب طريقة توظيفه واستثماره لغيره من مصطلحات العلوم الأخرى، وكذا بعض العبارات الشائعة في الديانات الأخرى، وإيغال بعض المنتسبين إليه في الاشارية والشطح الصوفي.

فإن أكثر الصوفية بإغراقهم في الاعتماد في وصف أحوالهم قد وقعوا بين طرفي الإغراب والإلباس، ومن هؤلاء من صنفهم الإمام الغزالي في صنفي الشطح الديني ووصفهم بأصحاب دعاوى الحلول والاتحاد، فهم كما يعرفهم "أصحاب الدعاوي الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى، والوصال المغني عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية، والمشافهة بالخطاب ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج (المقتول 309هـ) الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس، ويستشهدون بقوله: أنا الحق... وهذا فن من الكلام

[1] الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي ،شرح الشيخ عبد الله درّاز : اعتنى بها وخرّج الأحاديث، إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط1 1415هـ 1994، 85/1 .

[2] انظر شفاء السائل، ابن خلدون: ص 138-139

[3] لطائف المنن، ابن عطا الله السكندري: ص 165

عظيم ضرره في العوام"[1]، "حيث يصل هؤلاء إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق، فلا يحاول معبر أن يعبر عنها إلا اشتمل لفظه على خطأ صريح، ولا يمكنه الاحتراز عنه".[2]

أما الإلباس فأمثل له بالتشابه التام في بعض الأحيان، بمعنى من معاني العبارات الصوفية المختلفة، وما يمكن أن يتبادر من وجود التناقض في معاني المصطلح الواحد بين المتصوفة، تناقضا لا يتضح إلا بإضافة التبريرات المقدمة من كل منهم بانتقائه هذا المعنى دونا عن الآخر، و لاشك أن كل هذه الإشكالات مجتمعة، قد أبعدت خطاب التصوف عن الفهم والتداول، وقبل ذلك عن التفهم [3].

وهذا المسلك في الخطاب غير محمود، وذلك لما ينجر عنه من ضرر في سوء الفهم ،الذي يؤدي إلى سوء الظن بقائله.

وقد ترجم البخاري في صحيحه فقال [باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا][4]، وفي مسلم مرفوعا عن ابن مسعود قال: "ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنه"[5] قال ابن وهب: "وذلك أن يتأولوه غير تأويله و يحملوه على غير وجهه".[6]

والتصوف الذي نشأ نشأة إسلامية في البداية، لم يسلم مع الزمن من تأثيرات فلسفية، ممّا أدّى إلى حجب حقيقة التصوف الرائقة بحجاب غليظ من الشطحات، التي لم تبق عند حدود الزخرفة والتنويعات[7]. بل أنتجت مفاهيم تسترت بالتعبير الرمزي والإشارات، وأدت إلى الإباحية في السلوك. وقد أثار هذا المسلك جدلا كبيرا وتباينت المواقف منه، فقد رأى بعضهم أنّ المصطلحات التي استعملوها فيما بينهم أجنبية عن الإسلام، ولغة الإسلام العربية، ومقتبسة ومأخوذة من ديانات، أخرى بحروفها وألفاظها، معانيها و مدلولاتها[8] .

وهذا ما حدا بالعلامة ابن خلدون لتفصيل الكلام فيه، والحمل على اعتقاداتهم حيث ذكر أن قوما من المتصوفة المتأخرين عنوا بعلوم المكاشفة، وعكفوا على الكلام فيها وصيروها من قبيل العلوم والاصطلاحات وسلكوا فيها تعليما خاصا، ورتبوا الموجودات على ما انكشف لهم ترتيبا خاصة ومن اشهر المتمذهبين به ابن الفارض، وابن برجان، وابن قوسي. الذين أحدثوا علم أسرار

---

[1] إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي ،مكتبة عبدالوكيل دروبي ،دمشق (د.ت) 32/1.

[2] المنقذ من الضلال ،الغزالي، ص:40.وانظر إشكالية التأويل بين كل من الغزالي وابن رشد: أحمد عبد المهيمن / ت: د. عاطف العراقي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية. ط 1/ 2001، ص: 181-183.

[3] انظر مقدمة معجم المصطلحات الصوفية ص:10-11.

[4] صحيح البخاري كتاب العلم، وأورد تحته أثرا لعلي ﷺ 'حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله'.، رقم 127.

[5] صحيح مسلم، المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، رقم :5.

[6] الاعتصام: أبو إسحاق إبراهيم الشاطبي، علّق عليه وعرّف به :محمد رشيد رضا، طبعة دار المعرفة ،بيروت دون تاريخ النشر. 2/ 13-14.

[7] انظر: شطحات الصوفية، د. عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، ط.3، 1978 ص:65

[8] التصوف المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير، الناشر، إدارة ترجمان السنة لاهور، باكستان/ ط1-1986/ ص 93بتصرف

الحروف ، وإنما مستنده عندهم الذوق والكشف، وما أوقع في هذا الخباط كله إلا الخوض في علوم المكاشفة الذي حقه عند أئمة القوم لا يخاض فيه[1]، وإن كان لا ينفي عنهم تعويلهم على المجاهدة والرياضة من أجل الترقي.

وهؤلاء هم فلاسفة صوفيون آمنوا بالغنوص، وقد كان مؤدى كل هذه الوجوه واحدا، هو رفع التكاليف حسب د: سامي النشار، منهم الحلاج والسهروردي المقتول، وابن سبعين، وغيرهم [2].

وهذا الوصف وإن أُعتبر غريبا بسبب اختلاف التصوف ومصادر المعرفة فيه عن منهج المعرفة في الفلسفة ومصادرها ،إلاّ أنّ المنتمين إلى هذه المدرسة مزجوا الذوق بالنظر العقلي واستعاروا بعض المطلحات الفلسفية. وقد ذكر السهروردي أن مصدر الطريق الاشراقي هو أفلاطون بقوله: "وما ذكرتُه من علم الأنوار وما يُبنى عليه وغيره ساعدني عليه كلُ من سلك سبيل الله عزّ وجلّ ... وإمامُ الحكمة ورئيسها أفلاطون صاحب الأيدي والنور ، وكذا من قبله من زمان والد الحكماء هرمس... و تلاميذه مثل أنباذقلس، وفيثاغورس وغيرهما". [3]

لكن كل ما سلف ذكره لا ينفي أن أول من تصدى بالنقد لهذه الاتجاهات في التصوف كانوا من أعلام التصوف السني ومؤسسيه.

فقد أكّدوا أن الاهتمام بالشريعة وأحكامها و العمل بها هو فيصل التفرقة بين الإيمان والزندقة في الطريق إلى الله، وأن الشريعة عندهم هي الباب الموصلة إلى الحقيقة، تأكيدا لقوله تعالى: ﴿ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ﴾ (البقرة:189)، فلا باطن بدون ظاهر ولا حقيقة بدون شريعة"[4]

وقد قال الجنيد لرجل ذكر المعرفة فقال: "أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات من باب البر والتقوى إلى الله، فقال الجنيد: "إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال، وهذه عندي عظيمة، والذي يسرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا، فإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله وإليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من البر ذرة إلا أن يحال بي دونها، وإنه لأوكد في معرفتي وأقوى في حالي.[5]

ويقرر الإمام الجنيد في موضع آخر ضوابط هذا العلم فيقول:"مذهبنا هذا مقيد بالأصول الكتاب والسنة، فأشار أولا بقوله علمنا إلى صحة العلم، وثانيا بقوله "مذهبنا" إلى صحة السلوك، فلا بدّ من استفادة العلم من الكتاب والسنة، وإيقاع العمل على موجب ذلك العلم"[6]

---

[1] انظر شفاء السائل/ ابن خلدون، ص 116- 121 بتصرف، والمقدمة له، دار صادر، بيروت، ط.1، 2000م، ص:364-365.

[2] انظر نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام/ د. علي سامي النشار دار المعارف، ط1-1966، 1 / 233، 235.

[3] حكمة الاشراق، شهاب الدين السهروردي، مراجعة وتقديم :إنعام حيدورة، دار المعارف الحكمية، مكتبة مؤمن قريش،ط.1، ص:2

[4] انظر دراسات في التصوف الإسلامي، محمد جلال شرف ، ص: 22

[5] طبقات الصّوفية: أبو عبد الرحمان السلّمي، نشره ورتبه أحمد الشرباصي، مطابع الشعب، مصر 1380هـ.ص: 36-37.

[6] انظر دراسات في التصوف الإسلامي ،د: محمد جلال شرف، ص: 242

مصداق ذلك ما ذكره أبو سليمان الداراني من أنّه يقع في قلبه من نكت القوم أياما فلا يقبل منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب و السنة.[1]

وقد قال ذو النون المصري: "من علامات المحبّ لله متابعة حبيب الله في أفعاله وأخلاقه وأمره وسننه"[2]

وهذا السري السقطي وهو الذي شهد له المؤرخون بأنه أول من تحدث بالأحوال والمقامات، و جعلها موضوعا لتعليمه وتوجيهه وأدار حولها النقاش و الحوار مع بعض تلاميذه، و هو أول من تكلم ببغداد في لسان التوحيد وحقائق الأحوال، كان يعتقد أن التصوف الحقيقي هو الذي يستمد مبادئه من أحكام الكتاب والسنة ولا يتجاوز أربابه حدود الشريعة بدعوى الاختصاص بمعرفة الحقائق و الاطلاع على الأسرار الإلهية؛ لذلك نجده يعرف الصوفي بقوله: "المتصوف اسم لثلاثة معان، وهو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، ولايتكم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب، ولا تحمله الكرامات على هتك محارم الله تعالى لأن من ادعى باطن علم ينقض ظاهر حكم، فهو غالط" فقليل في سنة، خير من كثير مع بدعة[3].

وقد حذا حذو هؤلاء المؤسسين أعلام في مراحل مختلفة من تاريخ التصوف من أمثال أبي القاسم القشيري صاحب الرسالة، والإمام زروق الفاسي وأبي الحسن الشاذلي وتلميذه ابن عطاء الله السكندري وغيرهم كثير.

المبحث الثالث: التفسير الإشاري عند المتصوفة، تأصيله ونماذج منه، وموقف العلماء منه:

أولا: تأصيل التفسير الإشاري:

يذهب كثير من الصوفية ومن غير الصوفية إلى أن جذور التفسير الإشاري تعود إلى التفسيرات الأولى للقرآن الكريم، ذلك أن القرآن لم يتجه إلى المسلمين بالخطاب التكليفي فحسب بل لأنه ناجى القلوب المؤمنة، وأحوال النفس وأحاديثها وأشواقها بأسلوب شائق جذاب، وخاطب أيضا أصحاب القلوب القاسية وتوعدهم وذكّرهم، ونستطيع أن نتلمس ذلك بجلاء من تأويل الصّحابة المفسرين كابن عباس وابن مسعود،

وأمتدّ ذلك عند التابعين، بالأخص الذين بدأت ملامح الزهد والتصوّف ترتسم عندهم إلى أن اكتملت منذ القرن الثالث الهجري، وبقدر تقدير كل أحد منهم لحدوده في التعامل مع كتاب الله، فقد اختلفت أنظارهم في تقدير هذه الحدود فالقرآن حمال أوجه كما قال الإمام علي ﷺ.

---

[1] طبقات الصوفية ،السلمي، ص: 20 وانظر: الاعتصام: 1 /90 إلى 98.

[2] المرجع السابق، ص: 10 .

[3] انظر دراسات في الزهد و التصوف، توفيق بن عامر: من 47 الى 79 وطبقات الصوفية، السلمي، ص: 14-15

قال الإمام بدر الدين الزركشي: واعلم أنّ القرآن قسمان: أحدهما ورد تفسيره بالنقل عمن يعتبر تفسيره، وقسم لم يرد.

والأوّل: ثلاثة أنواع: إمّا أن يرد التفسير عن النبي ﷺ أو عن الصحابة، أو عن رؤوس التابعين، فالأوّل يبحث فيه عن صحة السّند، والثاني: ينظر في تفسير الصحابي، فإن فسّره من حيث اللغة فهم أهل اللّسان فلا شك في اعتمادهم، وإن فسّره بما شاهده من الأسباب والقرائن فلا شك فيه، وحينئذ إن تعارضت أقوال جملة من الصحابة، فإن أمكن الجمع فذاك، وإن تعذر قدم ابن عباس، لأن النبي ﷺ بشره بذلك، حيث قال اللهم علمه التأويل"[1] ... وأما الثالث: فهي رؤوس التّابعين إذ لم يرفعه إلى النبي ﷺ ولا إلى أحد من الصحابة رضي الله عنهم فحيث جاز التقليد فيما سبق، فكذا هنا، والأوجب الاجتهاد.

الثاني: ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين... وطريق التوصل إلى فهمه النظر[2] وفي هذا الجزء كثر الخلاف واحتدم النقاش، ولو جارينا كل مدرسة في العصور الأخيرة فيما ذهبت إليه لرددنا كل بحث صوفي، أو نظرية علمية و ...إلى آية قرآنية، وهذا إسراف دون ريب.

ولقد لاحظ كثير من الباحثين ظهور هذا النّوع من التأويل الخُلقي منذ عهد الصحابة، مع أنهم كانوا أميل إلى التّطبيق العملي لمقاصد الكتاب الخلقية منهم إلى التصريح بمعانيها، "[3].

ومع ذلك وردت الروايات الدالة على أنهم فسَّروا القرآن تفسيراً إشارياً، فما رواه البخارى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال: "كان عمر يُدخلنى مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وَجَدَ فى نفسه فقال: لِمَ تُدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه مَن حيث علمتم، فدعاه ذات يوم فأدخله معهم، فما رأيت أنه دعانى يومئذ إلا ليريهم. قال: ما تقولون فى قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ ﴾[النصر: 1] .. فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً، فقال لى: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ ﴾ وذلك علامة أجلك، {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ واستغفره إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً} (النصر: 3) فقال عمر: ما أعلم منها إلا مَا تقول".[4]

---

[1] عند البخاري يلفظ "اللهم علمه الكتاب" كتاب العلم رقم: 75 وفي رواية آخرى بلفظ: "اللهم فقهه في الدين" أما رواية: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل" أخرجها البغوي في معجم الصحابة (انظر فتح الباري: 170/1)

[2] البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 172/2.

[3] المصطلح الصوفي: ص13 -14.

[4] صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: قوله : فسبح بحمد ربك وأستغفره إنه كان توابا، رقم:4970.

فابن عباس وعمر، فهما معنى آخر وراء الظاهر، هو المعنى الباطن الذى تدل عليه السورة بطريق الإشارة.[1]

وأيضاً ما ورد من أنه لما نزل قوله تعالى فى سورة المائدة: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (الاية:3) .. فرح الصحابة وبكى عمر رضى الله تعالى عنه وقال: ما بعد الكمال إلا النقص، مستشعراً نعيه عليه الصلاة والسلام، فقد أخرج ابن أبى شيبة: "أن عمر رضى الله تعالى عنه لما نزلت الآية بكى، فقال النبى ﷺ: "ما يبكيك"؟ قال: أبكانى أنَّا كنا فى زيادة من ديننا، فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شئ قط إلا نقص، فقال عليه الصلاة والسلام: "صدقت".[2]

وعلى هذا قال بعض أهل الذوق: "للقرآن نزول وتنزل فالنزول قد مضى، والتنزل باق إلى قيام السّاعة، ومن هنا اختلف الصحابة في معنى الآية، فأخذ كل واحد برأيه على مقتضى نظره"[3]. ويعدّ هذا من التعمق المقصدي الذي لا يناقض المعنى الأصلي بل يخدمه.

ثانيا : التفسير الاشاري عند المتصوفة:

فرّق أهل التصوف بين التفسير والتأويل، فالأول يستند إلى مقدمات وقواعد أمّا الثاني فهو ترجيح أحد الاحتمالات الزّائدة على المعنى الظاهر، فإن المرجّح عند الصوفية تدبرّ الآيات، ثم التطبيق العملي لها بعد تدبّرها"[4].

والتفسير الإشارى لا يرتكز على مقدمات علمية، بل يرتكز على رياضة روحية يأخذ بها الصوفى نفسه حتى يصل إلى درجة تنكشف له فيها من سجف العبارات هذه الإشارات القدسية، وتنهل على قلبه من سُحُب الغيب ما تحمله الآيات من المعارف [5].ولم يقل الصوفية أنّه تفسير للآية لا يحتمل معنى آخر.

قال أبو نصر القشيري: "ويعتبر في التفسير الإتباع والسمّاع، وإنما الاستنباط فيما يتعلق بالتأويل وما لا يحتمل إلاّ معنى واحدا حمل عليه.

---

[1] انظر : التفسير والمفسرون :263/2

[2] المرجع السابق: 263/2 ،والأثر أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق : كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط.1، رقم: 34408.

[3] البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي: 2 /139، وانظر :إعلام الموقعين لابن القيم، 250/1 إلى 355.

[4] المصطلح الصوفي: ص13.

[5] التفسير والمفسرون :263/2

وقال: أبو القاسم بن حبيب النيسابوري والبغوي والكواشي وغيرهم: التأويل صرف الآية إلى معنى مواقف لما قبلها وما بعدها، تحتمله الآية، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط، قالوا: وهذا غير محظور على العلماء بالتفسير وقد رخص فيه أهل العلم، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ (البقرة :195) قيل هو الرّجل يحمل في الحرب على مائة رجل، وقيل هو الذي يقنط من رحمة الله، وقيل: هو الذي يمسك من النفقة، وقيل: الذي يتصدق بماله كله ثم يتكفَّفُ الناس، ولكلّ منه مخرج ومعنى.

فهذا وأمثاله ليس محظور على العلماء استخراجه بل معرفته واجبة، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ (آل عمران :7)"[1].

لذلك قيل أنّ كلامهم في تفسير القرآن، ليس تفسيرا وإنما هي معان ومواجيد يجدونها عند التلاوة.

ثالثا : نماذج من التفسير الاشاري:

ومن أمثلته ما فهمه السراج الطوسي من الآية: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾(التغابن:16) بأنها تشديد لا توسيع كما فهمها أكثر الناس، وأنّ معناها عنده راجع إلى قوله تعالى: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ (آل عمران :102)، وهو يقول في ذلك: "لأنك لو صليت ألف ركعة واستطعت أن تصلي ركعة أخرى فأخرت ذلك إلى وقت آخر، فقد تركت استطاعتك"[2].

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ (البقرة:165) أورد القرطبي في تفسيره، قولا لسهل بن عبد الله عن حب الله تعالى: علامة حب الله حب القرآن، وعلامة حب القرآن حب النبي ﷺ، وعلامة حب النبي حب السنة، وعلامة حب الله وحب القرآن وحب النبي حب الآخرة، وعلامة حب الآخرة أن يحب نفسه، وعلامة حب نفسه أن يبغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ألا يأخذ منها إلاّ الزّاد والبلغة (الضرورة)[3].

وقد ذكر السراج الطوسي بمناسبة وصف من أصاب في الاستنباط بعض تفسيرات الشبلي منها ما سئل عنه الشبلي في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ ﴾(النور:20) فقال أبصار الرؤوس عن محارم الله تعالى، ويضيف الشعراني إلى ذلك: وأبصار القلوب عمّا سوى الله[4].

---

[1] البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين الزركشي، 149/2-150.

[2] اللمع، السراج الطوسي: ص122

[3] تفسير القرطبي، جامع أحكام القرآن، 316/14، دار إحياء التراث العربي.

[4]: اللّمع، السّراج الطوسي: ص127-128.

واعتمد الغزالي على آيات من القرآن ليستند إليها في إظهار الترقي المعرفي من خلال التأويل، كسورة النور، التي أشار إلى أن ما ذكر من ألفاظ في هذه السورة في "عالم الملك" كالمشكاة والمصباح، والشجرة، ما هي إلا رموز وأمثلة إلى المعنى الروحاني في عالم الملكوت[1]، في جواهر القرآن، حيث شبه القرآن بالبحر المحيط ومنه يتشعب علم الأولين والآخرين، كما يتشعب عن سواحل البحر المحيط أنهارها وجداولها. ويذهب إلى تعداد خصائص الجواهر والدّرر التي اختارها أوصافا للعلوم التي احتواها القرآن الكريم [2].

كل الأمثلة التي سبق إيرادها، تؤكّد أن هذا الاتجاه الذي سلكه الصوفية في التعامل مع آي القرآن لم يكن ترفا تأمليا، وإنّما هي وظيفة مقصدية عند الصوفية، يدل المتدبر للقرآن على طريق السلوك الذي يتبعه، "ومن ثمَّ فإنّ الصوفية يعتبرون إشارات القرآن من قبيل الحقيقة، غير أنّها ليست الحقيقة التي تقابل المجاز، وإنما هي حقيقة شعورية خاصة، يجدها السّالك المتلقي للقرآن في قلبه تلهمه معنى، أو تأمره بعمل، أو أدب كان خافيا عنه، فيزداد بذلك المعنى عملا وأدبا."[3] وليس إحالة لكلام الله تعالى لأنهم لا يقولون أنه لا معنى للآية إلاّ هذا.

وللشيخ أبي الحسن الشاذلي إشارة في سورة النّاس تخدم هذا المعنى. حيث يحكي عن نفسه "قرأت ليلة من اللّيالي: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ إلى أن انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦ ﴾ فقيل لي: شرّ الوسواس يدخل بينك وبين حبيبك، ينسيك ألطافه الحسنة، ويذكّرك أفعالك السيئة، ويقلّل عنك ذات اليمين ويكثر عليك ذات الشّمال، ليعدل بك عن حسن الظنّ بالله ورسوله إلى سوء الظنّ بهما. فاحذر هذا الباب فقد أخذ منه كثير من الزهاد والعباد، وأهل الجدّ والاجتهاد. [4]

ويجلي هذا الموقف ابن عطاء الله حينما وضح مسلك هذه الطائفة في تعاملها مع القرآن أنّه: "ليس إحالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جُلبت الآية له ودلت عليه في عرف اللسّان وثمَّ أفهام باطنة تفهم عند الآية والحديث لمن فتح الله قلبه وقد جاء في الحديث ﴿لكل آية ظاهر وباطن﴾ فلا يصدنك عن تلقي هذه المعاني منهم أن يقول لك ذو جدل ومعارضة هذا إحالة لكلام الله وكلام رسوله، فليس ذلك بإحالة وإنما يكون إحالة لو قالوا لا معنى للآية إلا هذا وهم لم يقولوا ذلك، بل يقرون الظواهر على ظواهرها مرادا بها موضوعاتها ويفهمون عن الله تعالى ما أفهمهم".[5]

---

[1] انظر: إشكالية التأويل عند الغزالي وابن رشد: ص273.

[2] انظر: جواهر القرآن ودرره، الغزالي: منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط6، 1990م، ص8-9 إلى 35.

[3] المصطلح الصوفي: ص45-46، بتصرف.

[4] لطائف المنن، ص:196 -197

[5] انظر لطائف المنن، ص135-137

رابعا : نماذج من التفسير الإشاري المردود:

لكن ما سلف بيانه لا ينفي وجود أنواع من التأويل نسبت إلى التفسير الاشاري، عمد فيها إلى توجيه الآيات القرآنية توجيها لا يلائم السياق القرآني، وأضفوا عليها معاني لا يعرفها العرب ولا المجاز اللغوي، مثل تأويل الرّوافض لقوله تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ١٩ ﴾ (الرحمن:19) أنهما علي وفاطمة ﴿ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ٢٢ ﴾(الرحمن:22) عني الحسن والحسين ﷺ. وهذا اللون من التأويل الباطل لم يخل منه زمان يقول الإمام أبو القاسم محمد بن حبيب النيسايوري-رحمه الله- كما نقله عنه الزركشي: قال: "وقد نبغ في أزماننا مفسرون لو سئلوا عن الفرق بين التفسير والتأويل ما اهتدوا إليه، لا يحسنون القرآن تلاوة، ولا يعرفون معنى السورة أو الآية، أعفوا أنفسهم من الكدّ والطّلب، وقلوبهم من الفكر والتعب لاجتماع الجهال عليهم وازدحام ذوي الأغفال لديهم... إلى أن قال: وقد قال ﷺ "المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور"[1].

وصنف الإمام الغزالي هذا النوع من التفسير في خانة الشطح الصّوفي الذي عدّه صنفين:

الأول: يتمثل في أصحاب دعاوي الحلول والاتحاد.

والثاني: يتمثل في أصحاب التأويل الإشاري ومنهج هؤلاء في التأويل يقوم -حسبه- على دلالات غامضة، وصيغ رمزية غير مفهومه لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة، وليس وراءها طائل، ويرجع الغزالي الإشارات والدّلالات التي يلجأ إليها هؤلاء أثناء تأويلهم للنصوص الدينية إلى قسمين:

الأول: أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن تخبط في عقله وتشويش في خياله، لقلة إحاطته وهو الأكثر.

الثاني: أن تكون مفهومه له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسة للعلم، وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالألفاظ، ويذهب الغزالي إلى القول أنه لا فائدة لهذا الجنس من الكلام، فضلا عن كونه يشوش القلوب ويدهش العقول، أو يعمل على أن يفهم منه معاني غير مرادة.

ويسوق الغزالي أمثلة لهذه التأويلات، كتأويل بعضهم قوله تعالى: ﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧ ﴾ (النزعات :17) إلى أنه إشارة إلى قلبه، وقال: هو المراد بـ "فرعون" وهو الطاغي على كل إنسان. ويعلق الغزالي على هذه التأويلات التي تلغي الظواهر الشرعية، وتنزلها على إشارات باطنية ودلالات رمزية بأنها باطلة قطعا؛ لأنّ " فرعون شخص محسوس تواتر إلينا النقل بوجوده ودعوة موسى له، وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه،

[1] البرهان في علوم القرآن 152/2.بتصرف والحديث أخرجه مسلم في كتاب اللباس/باب: النهي عن التزوير في اللباس وغيره رقم 2129

فالتأويلات التي تلغي الظواهر الشرعية وتنزلها على إشارات باطنية ودلالات رمزية مرفوضة وباطلة[1].

فهذا الاستنباط الصوفي للآيات يخرج النَّص عن حقيقته الظاهرية، ويجعل الدين عرضة لمنازع التأويل، وهو يستند إلى مزاج فردي.

خامسا : فواتح السور:

اختلف المفسرون في الحروف المقطعة، فكان بعضهم يجعلها أسماء للسور، تعرف كل سورة بما افتتحت به منها، وكان بعضهم يجعلها أقساما. ويرى بعضهم أنّها حروف مأخوذة من صفات الله تعالى يجتمع بها في المفتتح الواحد صفات كثيرة، كقول ابن عباس في ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ﴾ (مريم:1): أن "الكاف"من كاف، والهاء"من هاد، و"الياء" من حكيم، و"العين"من عليم، و"الصاد" من صادق[2]. و ورد عنه أيضا في ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١ ﴾(يونس:1، هود:1، يوسف:1، إبراهيم:1، الحجر:13): تأويلها: أنا الله أرى.

وما نقل أيضا عن ابن عبّاس أن [**ألم**]، أن "ألف" الله، ولام "جبريل" و"ميم" **محمد** ﷺ.[3]

وأولى الصّوفية لفواتح السور القرآنية أهمية خاصة و استندوا في ذلك على الحديث النبوي الذي رواه ابن مسعود عن رسول الله ﷺ أنه قال: من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول آلم حرف، ولكن، ألف حرف، ولام حرف وميم حرف"[4] وجعل بعضهم لحروف القرآن المقطعة قيمة إشارية ترتبط بالقيمة التعبدية، للنص القرآني.

يقول: أبو سعيد الخرّاز: صاحب كتاب التصوف والصدق أو الطريق إلى الله: "كلما بدا حرف من الأحرف في كتاب الله عز وجلّ على قدر قربك وحضورك عنده، فله مشرب وفهم غير مخرج الفهم الآخر، فإذا سمعت بقوله: "آلم" فللألف علم يظهر في الفهم غير ما يظهر اللام، وعلى قدر المحبة وصفاء الذكر ووجود القرب، يقع التفاوت والفهم[5].

---

[1] إشكالية التأويل بين كل من الغزالي وابن رشد: ص181.

[2] انظرتأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان،1981. 182/1

[3] اللمع للطوسي، ص124 ، وانظر: دراسات في التصوف الإسلامي، د.محمد جلال شرف ، ص112-193.

[4] رواه الترمذي: أبواب ثواب القرآن/ باب: ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر رقم 2912.

[5] د.محمد جلال شرف: دراسات في التصوف الإسلامي: ص193

ولعلّ المثال الذي ضربه السّراج الطوسي في التأويل الصوفي لفواتح السور يؤكد هذا الاتجاه، وذلك عندما "سئل الشبلي عن معنى الإشارة في الباء من "بسم الله" فقال: "أي بالله قامت الأرواح والأجساد والحركات لا بذواتها" وقيل لأبي العباس بن عطاء: إلى ماذا سكنت قلوب العارفين؟ فقال: إلى أول حرف من كتابه وهو الباء من "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ" فإنّ معناه أن بالله ظهرت الأشياء، وبه فنيت؛ لأن في اسمه "الله" هيبته وكبرياءه، وفي اسمه "الرحمن" محبته ومودته، وفي اسمه "الرحيم" عونه ونصرته. وهذا ما اتخذه كثير من غلاة الصوفية ذريعة للتأويل الإشاري أو الباطني، بدعوى أن الصحابة إزاء النص القرآني كانوا متأثرين بعوامل بعضها موضوعي والآخر ذاتي؛وذلك في مستوى تبنيهم لمضامين النص وإيحاءاته.[1] وأيا ما كان فإنّ العلماء

والمفسرين نبهوا على المعاني التي لها محل من النظر، وعلى التفسيرات التي فيها شطط وتعسف، ومن ثمّ بان المردود من المقبول.

[1] المصطلح الصوفي:103 و164.

خاتمة:

أهم النتائج، التوصيات:

هذا البحث هو محاولة خضت من خلالها في خضم قضيتين من أخطر وأدق مسائل التصوف، وقد قصرت البحث فيهما على التصوف الإسلامي السني لسببين:

الأول : حتى لا يتسع الحديث ولا يتشعب إلى أنواع أخرى من التصوف ، وهو ما يحتاج إلى أسفار .

الثاني: أنّ هذا التخصيص جاء لإجلاء ما هو نابع من الحقيقة الإسلامية المتمثلة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وما هو منحرف عن مقاصد القرآن الحقيقية.

ويعتبر المصطلح الصوفي من أكثر المسائل المثيرة للاختلاف بين علماء المسلمين بمختلف مشاربهم، غير أننا نلاحظ أنّ أهم سبب للخلاف هو عدم تحرير محل النزاع في بحث هذا الموضوع ؛وذلك عندما يحاكم هذا المجال إلى معايير دقيقة و منضبطة بالضوابط العلمية المتعارف عليها في علوم أخرى كالفقه والأصول وغيرها .

فالصوفي مرجعه الوحيين المتلو وغير المتلو، من كتاب وسنة، وطريقه المجاهدات والسلوك فهو يعبّر عن تجربة ذاتية متطورة، وهما من هذا الوجه متباينان .

ومن ثمّ كان نشأة المصطلحات والألفاظ في التصوف ضرورة علمية وتاريخية.

وبالنسبة للتفسير الإشاري فأهم ما يمكن الخلوص إليه من خلال التأصيل له، وبيان المقبول والمردود منه من قِبَل أئمة التصوف أنفسهم قبل غيرهم ،فهو أنّ علماء التصوف الإسلامي يتفقون على أن هذا التفسير أو التأوّل الإشاري ـ كما يطلق عليه بعضهم ـ هو كاسمه أقرب ما يكون إلى الإشارات والنظرات في كتاب الله تعالى ،لا تصادم السياق اللغوي ولا يذهبون في فهم النصوص فهما لا تحتمله معانيها، ولم يقولوا أنّها تفسير وبيان للآية، وهي أيضا ليست ترفا تأمليا، بل هي معاني احتوت على وظيفة مقصدية وتربوية، وقد أقر النبيّ عليه الصلاة والسلام بعض الصحابة كعمر بن الخطاب وعبدالله بن عباس رضي الله عنهم في تأويلهما لبعض الآيات عليه.

أنّ مما يمكن الإشارة إليه أنّه قد طرأ على بعض الصوفية والمنتسبين إليهم نزعات أدّت إلى أقوال وفهوم لا تقرها نصوص الشريعة ،وفتحت الباب للاتجاهات الباطنية و الغنوصية ، لكن أئمة التصوف وتلاميذتهم كانوا أول من تصدى لها بالنقد والردّ.

ومما يجب التأكيد عليه في التوصية الأخيرة، أنّه في زمن أستسلم فيه الجوهر للشكل،و غلبت النزعة الكمية على الكيفية في التدين ،فإنّ تثمين وبعث الفهم الصحيح للتصوف والاستعانة بأساليب التربية الصوفية بأبعادها المقصدية الساعية إلى التكمُل بالصفات والأخلاق الإسلامية كفيل بمواجهة الدور الخطير الذي تقوم به الجماعات التي تتغطى برداء التصوف (النيو صوفية، أو الروحانية الحديثة)والتي تسعى إلى محاربة الإسلام بل الأديان بمسح الحدود بينها و تمييعها.

قائمة المراجع:

01. إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي، مكتبة عبدالوكيل دروبي، دمشق، (د.ت)

02. إشكالية التأويل بين كل من الغزالي وابن رشد: أحمد عبد المهيمن، ت: د. عاطف العراقي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، ط 1، 2001م.

03. الاعتصام: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللّخمي الغرناطي، علّق عليه وعرّف به الشيخ محمد رشيد رضا، ط. دار المعرفة، بيروت، (د.ت.)

04. البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (794هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط 2، 1391هـ – 1972م .

05. تأسيس القواعد والأصول وتحصيل الفوائد لذوي الوصول أبو العباس احمد زروق الفاسي، اعتنى به نزار حمادي، المركز العربي للكتاب، الشارقة، (د.ت.)

06. تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت-لبنان،1981.

07. التصوف الإسلامي من الرمز إلى العرفان، د.محمد بن بريكة، دار المتون للنشر والترجمة والطباعة والتوزيع، الجزائر، ط.1، 1427هـ/2006م

08. التصوف المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة لاهور، باكستان، ط1، 1986م

09. التصوف والباراسيكولوجي: مقدمة أولى في الكرامات و الظواهر النفسية الفائقة / د: عبد الستار عز الدين الراوي / المؤسسة العربية للدراسات و النشر /ط1 /1994.الأردن

10. التعرّف لمذهب أهل التصوّف: أبو بكر بن إسحاق الكلابادي (ت. 380هـ)، ت: د. عبد الحليم محمود، د. طه عبد الباقي سرور، مكتبة الثقافة الدّينية، مصر، (د.ت.)

11. التعريفات: الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، ط.1، 1403هـ.

12. تفسير القرطبي، جامع أحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، (د.ت.)

13. التفسير والمفسرون، محمد السيد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، (د.ت.)

14. جواهر القرآن ودرره: حجة الإسلام أبو حامد الغزالي 505هـ ت: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة بيروت، ط6 : 1990م-

15. حكمة الاشراق، شهاب الدين السهروردي، مراجعة وتقديم: إنعام حيدورة، دار المعارف الحكمية، مكتبة مؤمن قريش، ط.1، (د.ت.)

16. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ت 430هـ، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، (د.ت.)

17. دراسات في الزهد والتصوف: توفيق بن عامر، دار العربية للكتاب تونس، ط. 1982م

18. الرّسالة القشيرية: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، شرح: شيخ الإسلام، زكريا الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت.)

19. سنن ابن ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار سحنون، تونس، ط.2، 1413هـ-1992م

20. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث، اشرف عليه ورقمه، د. بدر الدين جتين، دار سحنون، تونس، ط.2، 1413هـ-1992م .

21. سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض، دار سحنون، تونس، (د.ت)

سنن النسائي: أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب، ، اشرف عليه ورقمه د. بدر الدين جتين، دار سحنون تونس، الطبعة الثالثة 1413هـ – 1992م.

شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، الإمام العز بن عبد السلام السلمي 660هـ ،اعتنى به، حسان عبد المنّان، ط الأولى بيت الأفكار الدولية، عمان د.ت.

شطحات الصوفية: الدكتور عبد الرحمان بدوي، ، ط الثالثة 1978م، وكالة المطبوعات الكويت.

شفاء السائل وتهذيب المسائل : عبد الرحمان بن محمد الحضرمي، ابن خلدون (808هـ)،تحقيق محمد مطيع الحافظ دار الفكر المعاصر، بيروت الطبعة الأولى 1417هـ - 1996م.

صحيح البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، بشرح ابن حجر، رقمه محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة بيروت.

صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار سحنون، تونس.

طبقات الصّوفية: أبو عبد الرحمان محمد بن الحسين السلّمي، ، نشره ورتبه أحمد الشرباصي، مطابع الشعب، مصر 1380هـ

الطبقات الكبرى المسمى بـ"لواقح الأنوار في طبقات الأخيار" عبد الوهاب الشعراني .دار الفكر بيروت (د.ت)

عوارف المعارف: عمر السهرودي: دار الكتاب العربي، ط2: بيروت 1403هـ - 1983م.

القاموس المحيط ،مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى،تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ،(ط): الثامنة، 1426 هـ - 2005 م

لسان العرب: جمال الدين بن منظور الإفريقي 751هـ، ، علّق عليه ووضع فهارسة علي شيري، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان، الطبعة الأولى 1488هـ - 1988م.

لطائف المنن :ابن عطاء الله السكندري، ، ت د. عبد الحليم محمود، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري الطبعة الأولى 1411هـ-1991م

اللّمع السرّاج الطوسي: ت، د. عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي للسرور: دار الكتب الحديثة، مصر: 1380هـ

مجلة اللسان العربي /العدد:4 – 1386هـ . الموافق1966م.

مدارج السالكين في شرح منازل السائرين: الشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيّم الجوزية، تحقيق الداني بن منير آل زهوى، الطبعة الأولى 1424هـ - 2003م، المكتبة العصرية بيروت.

مسند الإمام أحمد: أحمد بن حنبل، ، دار سحنون، تونس 1411هـ-1992م الطبعة الثانية.

المصطلح الأصولي عند الشاطبي : د. فريد الأنصاري، رسالة دكتوراه مكتوبة على الآلة الكاتبة ، مقدمة لكلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية: الرباط،(1998-1999م).

المصطلح الصوفي بين التجربة والتأويل :محمّد مصطفى عزّام، ، تقديم د. طه عبد الرحمان، الطبعة الأولى 2000م، مطبعة فيديرانت، الرباط.

معجم ألفاظ الصّوفية: حسن الشرقاوي، مؤسسة مختار للنّشر والتوزيع، القاهرة: ط2، 1992م.
معجم المصطلحات الصوفية: الدكتور أنور فؤاد أبي حزام ، مراجعة د. جورج متري عبد المسيح، الطبعة الأولى 1993، مكتبة لبنان ناشرون بيروت.
معجم مقاييس اللغة :أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر: 1399هـ - 1979م.
مفردات ألفاظ القرآن :الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب، ، تحقيق نديم مرعشلي دار الكاتب العربي 1392هـ-1972.
المقدّمة عبد الرحمان بن محمد الحضرمي، ابن خلدون (808هـ)، الطبعة الأولى 2000م دار صادر بيروت.
المنقذ من الضلال :أبو حامد الغزالي ، تحقيق : سعد كريم الفقي ،دار ابن خلدون الأسكندرية ،مصر.

الموافقات في أصول الشريعة: أبو إسحاق إبراهيم الغرناطي الشاطبي المالكي: (ت790هـ)، شرح الشيخ عبد الله درّاز : اعتنى بها وخرّج آياتها وضبط أحاديثها، إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت ط1 1415هـ 1994.

الموسوعة الصّوفية: أعلام التصوّف والمنكرين عليه والطّرق الصّوفية: د. عبد المنعم الحنفي، ط1: 1412-1992، دار الرّشاد، القاهرة.
نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام د. علي السامي النشار، الطبعة الأولى: 1387هـ - 1969، دار المعارف مصر.